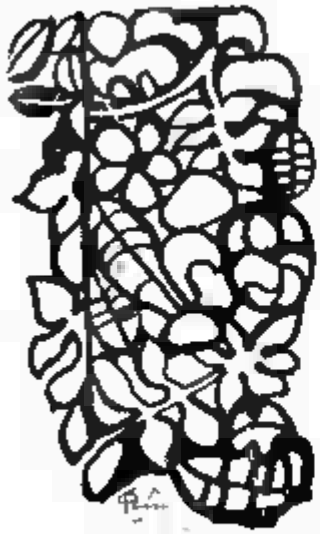

من الأدب الهندي

لاتيكا

قصة الشادات

ترجمة : حسن فتحي خليل

في قلب التلال تربض قرية صغيرة تحت السحب الصيفي المسرعة ، حيث تبحث الطيور في أعشاشها عن ظلالها ، وتتساقط أوراق الشجر الذابلة .

أصيلت الصبايح في القريه ، وكانت لاتيكا حالمة الى نفسها على عتبة الباب وهي تتأمل السماء الباكية . كان قلبها مفعما بالدموع ، فليس هناك في الدنيا بأجمعها أسى يضارع الأسى الذي يتوه به قلبها ..

انها في الرابعة عشرة فحسب ! اربعة عشر عاما ! تلك التي النعمة الحزينة ! أن تقل الدنيا بأكملها يطبق عليها . واكتمال الزهور النضرة يحجلها ، وامتلاء جسد أمها الناضج يجرح شعورها .

كانت تلاحظ أمها بعيني صبية مفعمة بالحيرة ، وهي تجلس على الارض تحمر الخضار لطعامهم ، منهمكة في عملها والاساور تهتز في يدها فتصدر عنها موسيقى رائعة تقطع سكون الغرفه كانت تمسك بكل قطعة من قطع الخضار ثم ترمي بها في الوعاء النحاس فتشعر لاتيكا انها تباركها بمجرد لمس اصبعها لها .. كما يحدث في المعبد اذ تبارك لمسات الكاهن كل القرابين ..

كانت لاتيكا تشعر بتلك اللمسات المقدسة حين تضع أمها يد هامايها — أن هذه اللمسات تملكها كل نساء القرية .. النساء المتزوجات .. لا العنيات العذراى .. ورفرفت زفرة حارة وهي تمد ذراعيها تتأملهما ؛ يالها من ذراعين هزيلتين ان منهما ذراعا أمها اليقظان وتأملت لاتيكا شجرة الفاكهه التي تنوء بثمارها .. ان جسد أمها لشبيه بهذه الشجرة .

بدت عنها زفرة اخرى وهي تغرق يديها بزهور الظفر المتجمعة في القدير .. وانحنت لترى صورة جسدها في الماء .. فامتلأت عيناها بالدموع

وسرعان ما استدارات فعادت الزهور الى مكانها لتحفى حجلها »

ان لاتيكا فى الرابعة عشر فحسب ، ولكن الامر يبدأ قليلا ، ليبدأ بشعور محزن غريب يسرى فى جسدها الصغير

ان الزهور تعرف كنه هذا الحنين ، لانها تبتسم وهى تمر بها ، وكذلك تعرفه نساء القرية ، لا بل يتأملها ثم يقلن « ان لاتيكا ستعدو امرأة رشيقا »

ولكن لاتيكا كانت تعجب لذلك وتسأل امراتها ، يقولون انى سأعدو امرأة قريبا .. فاذا ما اصبحت كذلك هل ستكون للمساء رقة لمسات والدتى . »

فيقول « لا ندرى .. ولكن من المؤكد انه سيكون لك روح جديد »

واحيانا كانت والدتها تفاجأ بعينيها الواسعتين الصامتين وهى ترمقانها لمدة ساعات طويلة فتقول « لا تبكا . اتحلمين ؟ »

فحينما فى رقة وما زالت عيناها محملقتين فى والدتها

« كم انت جميلة يا اماه ! ..

فتربت والدتها وتقول « يالك من فتاة غريبة ! »

وتشعر حينئذ انها قد سمعت أحلام ابنتها فسرع قائلة

« تعالى ساعدينى فى التنظيف »

فتقوم لاتيكا فى خفة وتذهب لمعاونة والدتها والسرور يملأ نفسها

وفجأة تلاحظ ان هناك فارقا بينها وبين والدتها ، ان تلك الموسيقى التى تصدر عنها أثناء عملها تختلف عن الموسيقى الصادرة عن امها ، فموسيقاها هى انما هى موسيقى سلمية أما موسيقى والدتها فهى تصدر عن شعور حقيقى لاحساس عميق متشبع بهذا المكان .

مرة أخرى تتصاعد زفراتها وتخفى دموعها وتهمس لقلبها الذى لم يفهم بعد ، بل وتعاود الهمسات قائلة

« اماه !! يا اماه !! كم ارجو أن اغدو مثلك . »

ولكن تقرعها أصوات تصلها من مكان بعيد ، أصوات متهجمة تنادى .. لاتيكا لاتيكا .

لعلها أصوات صويحباتها ، فتفتح عينيها وابتسامة حزينة ترتسم على شفتيها ، وتسرع اليها صور حياتها التى اعتادتها ، لاتملكها أن تقاوم هذه المشاعر ، فتهب واقفة وتسرع نحو حوض يلتقط حوله فى سرور وقلبها مازال يموج بعواطفه .

وهكذا مرت عليها أربع سنوات أخرى ، فصارت لاتيكا فى الثانية عشرة أن جسدها يبدو وكأنه مفاجأة دائمة لها ، بعد أن دخلت فى طور الشباب ولكن ذلك الشعور من الحنين مازال يملأ قلبها ، فهى تضطجع هناك تحت ظل الشجرة الوارفة الظلال تتأمل أغصانها المتشابكة فتهتز روحها على وقع اهتزاز أوراقها .

ثم تعلق عينيها فى بطء .. وهناك .. فى أفق تفكيرها يبدو « هو » .. ويقبل عليها وعلى شفتيه ابتسامة هادئة فتفتح عينيها وتسرع خالعة ملابسها ثم تلقى بنفسها فى الغدير ، وتريح ذلك

النـــار من زهـــور النيلوفر ووجهها يطفح بالامل السعيد . ثم تنحنى لترى صورتها فى الماء . فتدعمها وقرة سريعة وتنبعهـا بضحكـه حادته .. وتنسى الزهور أن تعود الى مكانها .. بل تبقى على حالها لا تديم وهى تتأمل جســد لاتيكا !

وحينما تخرج من الماء بشعر وكان هناك موســـيقى تنجاوب نغماتها فى دمائها ، فتتحسس أجزاء جســـدها بأناملهـا وهى تهمس بين شـــفتيها المنفرجتين وعيناها تتسعان نشوة « ان هذا كله له ! »

وتهب ريح على الاشـــجار ، ريح وكأنها صادرة عن همســـاتها تلك . فتقف لاتيكا مذعورة ، انها تســـمع همســـات الاغصان وهما تردد « ان هذا كله له ! .. حتى الحشائش الخضراء الطويلة تتماوج هامسة بدورها « ان هذا كله له ... ان هذا كله له ! »

فيعمرها الخجل ، وتعلق عينيها فى نعومة . وتنظر أمها اليها فى دهشة وهى واقفة بالباب ثم تقول « هلا تدهبين الى السوق يالاتيكا لتملأى الجرة فانى هى حاجة الى بعض من الماء » فترفع لاتيكا الجرة فى سكون وتضعها على رأسها ، وتخطو نحو تلك الدنيا المثيرة ... ان خفيف الاشجار وشغشغة الطيور وخرير الماء . كل هذا يتدفق نحو قلبها ، ولكنها تحاول أن تنصت فيما بينها الى وقع خطوات معينة ، تعرفها ولو انها لم تسمعها من قبل .. ولكنها تغرق منها فى رحمة هذه الاصوات ..

حتى عيدان الارز كانت تنحنى بدورها نحو حافة الطـريق ، لا صـــقة آذانها بالارض لتســـــمع وقع خطوات همة الاخرى .

وتقف لاتيكا بجانب البئر ، كان هناك غيرها من الفتيات يرفعن الماء ، فاجتمعن حولها مبتهجات وهى يشـدن «سيحضر هذا .. ان عروسك سيحضر غدا » ثم يبدأن يتوثرن مع بعضهن وهى ترفع الماء حالة .

انه فى الطريق اليها ، ذلك الذى خلق لها ، ذلك الذى ولد معها بين يدى الله منذ زمن .. توأم روحها .. انه قادم اليها وراء الاحيال

لقد تم الاتفاق على الزواج منذ عامين ، ولكنها لم تره ابدا ، انها لا تحتاج الى رؤية ، لانهـا تعرفه جـــدا .. لطالما رسمت ملامحه بيدها فى أحلامها ..

واعلقت عينيها فى ابتسامة حالمة ... وظهر هو فى أفق تفكيرها .. قادم اليها .. على شفتيه ابتسامة هادئة .. يرفع رأسه الى السماء والنور يضئ وجهه .. انه قادم نحوها وكأنه نغمة متناسقة .. هادىء . رشيق . قوى .. مقدس

وهبط الليل من السماء الى الارض .

وتألقت الاضواء فى مصابيح القرية ..

وجاء « هو الى لاتيكا .

وتصاعدت نغمات الموسيقى ..

والقوا عليها رداء العرس .. وانفردا وقد ألقى كل منهمـا على الآخر أول نظرة تعارف . ولكن عينا لاتيكا كانتا منكستين نحو الارض . وثقلت جفونها فلم تقو على النظر اليه . كان قلبها يخفق بشدة وهى تهمس « الآن وقد

جئت فعلا فلا يمكن لعيني ان تعانقا عينيك — ان فؤادي مثقل بالسرور .

انقض المدعوون اخيرا .. واطفئت الانوار .. اللهم الا مصباحا واحدا كان يضيء حجرتهما كان « هو » في مطلقة الظلال حينما دلفت الى الحجرة في هدوء .. ووقفت على الباب امامه منكسة العينين .

سمعته يقول « لقد سمعت عن عينيك الكثير ، انهما سوداوان .. عينان كالحسان كما يقولون . »

واراء هذا اللوم اللطيف لم تجد لانيكا بدا من ان ترفع وجهها اليه اخيرا ، ثم نكست بصرها في بطء . وانحدر الدمع من عينيها !

ان زوجها محمد ؟

سمعته يقول « الم يخبروك اذن ؟ »

فشعرت بقلبها يتلوى المما لذلك الاسى المنبعث من صوته ، فلم تلبث أن رفعت عينيها اليه ثانية وامتلأ صدرها بهواء بعاطفة دقيقة كأنها المطر اثير يهبط على التربة الصادية ..

واذا بها تتقدم نحوه وعلى وجهها ابتسامة مشرقة وهي تقول :

« لم يخبروني أن حاجتك التي هي الحب في مولدي . »